حول كلمة "تليس"

للأستاذ أبو بكر عبد الكافي
صفاقس - تونس

لقد لفت نظري الاخ المحترم الدكتور اكرم فاضل بارك الله جهوده الى كلمة (تليس) في تعليق له بدورية « اللسان العربي » التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب واستخلص بعد التحقيق :

ان كلمة (تليس) العربية ليست سوى تحريف للكلمة الاسبانية (ترليز) terliz

وانها تشير الى نوع من الاقمشة .

وانها تعنى بساطا غليظا مختلف الالوان (1) .

وارى من المفيد ان ادلى بما اعرفه عن هذه الكلمة لانى اعتقد بأنها كلمة تراثية من اعماق لغتنا الشعبية. وكانت مستعملة قديما عندنا بتونس ، ثم زال حضورها وبقى أثر وجودها في بعض التعابير الشعبية والنصوص التاريخية .

ان كلمة تليس بكسر الاول والثانى مع تشديده تجمع على تلاليس وجمعت على تلالس ونسب اليه فقالوا « التلالسى » كما سيأتى .

و فى العرف الشعبى القديم « التليس » هو كيس كبير لنقل الحبوب على الابل ونحوها ويدعى اليوم (الغرارة) جمع غرائر والتسمية عربية ويدعى ايضا (العديلة) تحريف عدل العربية..

والكلمة المعنية عربية اصيلة وليست بحخيلةمحرفة انما طرأ عليها التغيير من حيث الصيغة والمدلول واليك البيان :

جاء بلسان العرب لابن منظور :' (التليسة) وعاء يسوى من الخوص شبه القفة وهى شبه العيبة التى تكون عند العصارين (2)

نفهم من هذا : ان التليسة مؤنث تليس وعاء والوعاء هو ما يجمع فيه الشيء ويحفظ ، والغرارة او التليس (مذكر تليسة) هو كالوعاء للشيء وجاء فى شرح القاموس للزبيدى : (التليسة كسكينة وعاء يسوى من الخوص شبه قفة وهى شبه العيبة التى تكون عند القصارين والجمع (تلاليس) والتليسة ايضا كيس الحساب يوضع فيه الورق ونحوه) «3» .

اذن قد اطلق العرب (تليسة) جمع تلاليس على القفة والعيبة وعلى :' (كيس الحساب) فاخذها العامة وحذفوا تاءها واطلقوها على (كيس الحبوب) ؟ الذى هو (الغرارة) أو (العدل) ؟ وبهذا البيان فكلمة (تليس) عربية محرفة جزئيا اطلقت على ما يشابه ما اطلقت عليه ؟

ما هو التليس او الغرارة ؟

التليس ينسج من الصوف وشعر الماعز فيبدو ملونا يجمع بين البياض والسواد او بين السواد واللون البنى او اللون الرمادى على شكل مستطيلات عرض المستطيل نحو اربعة اصابع ، ويشبهه نوعا ما من حيث انصناعة (الحمل) عند اهل العراق الا ان التليس او الغرارة يخاط بعد النسج كيسا يسع ما بين 42 صاعا و 60 صاعا من القمح او الشعير مما يقدر وزنه ما بين 150 كلغ و 185 كلغ تقريبا .

ويهتم بصناعته اهل الريف والبادية لانه اكثر متانة واكثر فائدة من كيس الخيش الذى نسميه (الشكارة) ويتسع لضعفه مع انه يصلح لنقل الحبوب على الابل اذ كل جمل يحمل تليسين متعادلين ولذلك سمى العدل.

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه فى تفسير كلمة تليس ما يأتى :

1) قال ابن ناجى متحدثا عن عمه وكان من اهل العلم : (فحدثنى من نثق به من اصحابنا انه اعطاه يوما قفيزا شعيرا وكان الغلاء وقال له اوصله للدار الفلانية ولا تعرف صاحبها انه من عندى وان لم تجده فلا تعرف اهله وفرغ الطعام **وجيب التليس** » (4)

ونفهم من هذا : ان التليس كيس كبير لنقل الحبوب وهو ما قررناه .

ونفس الاصطلاح تجده عند القرويين المصريين مع التشابه فى النوع كما ذكر الدكتور اكرم فاضل (5) .

2) ما زال اهل البادية ينتفعون بالغرارة كفراش الى اليوم وكذلك كان الناس وعلى الاخص الصوفيين يستعملون التليس كفراش .

روى الدباغ : ان مروان بن نصر بن حبيب (ت 340 هـ) تلميذ عيسى بن مسكين وهو من العلماء العباد كان له فراش ينام عليه عبارة عن شدة قصب وتليس خشن ووسادة محشوة تبنا (6) .

3) لا نستغرب ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عن لبس التلاليس (7) لان هذه الظاهرة كانت فى القديم عند بعض الصالحين الزهاد الذين تجردوا من كل ما يشعرهم بمتعة دنيوية او لذة جسمانية حتى اللباس مما جعل بعضهم يلبس الصوف لخشونته ومنهم من كان يلبس « التليس » بعد تقوير فتحات العنق واليدين.

روى المالكى : ان العالم الزاهد عبد الرحيم بن عبد ربه المتوفى سنة 247 هـ الذى كان ملازما لقصر زياد انه راى ذات ليلة من ليالى رمضان قائلا يقول له : كل من بات فى هذا القصر مغفور له الا صاحب التليس .

وعندما اخذ يودع الناس تقدم له صاحب التليس ليودعه فاعلمه بما راى وساله عن قصته واعلمه بانه مملوك آبق من مولاه (8) .

وروى المالكى ايضا :

ان العالم الزاهد اسماعيل بن رباح الجزرى (ت 212 هـ) خرج للحج فدخل مصر ووقف بحلقة العالم عبد الله بن وهب وعليه تليس فلم يقبل عليه احد فصاح من آخر الحلقة قائلا : (امن اجل لباسى هذا اقصى وابعد ؟ ! فصاح ابن وهب : الى هاهنا الى هاهنا ، فتقدم اليه وعندما خلا معه قال له ابن وهب : لو لبست وسطا من الثياب كان احمد لك ؟ فقال اسماعول : من تحمل حملا ثقيلا من خشية الله تعالى اوشك ان يقضى به الى راحة فقال ابن وهب : صدقت (9) .

وهذا يدل على الافراط فى التجرد من متع الدنيا ولذتها وشدة الورع والتقوى مما طبع فى اذهان الناس وجعلهم يعتقدون بأن لابس التليس اكثر الناس ثقة واكثرهم تقوى وورعا وعبروا عن هذا بالمثل الشعبى القائل : (لو كانت الطفلة تلبس تليس ما هى الا بنت ابليس) !

وتواصل لبس الزهاد التليس حتى عندما صار يدعى الغرارة وبصفاقس بالجمهورية التونسية ضيعة كبيرة تدعى (سيدي بوغرارة) بينما فى القرن الخامس الهجرى نسب الى جمع تليس احد فقهاء القيروان هو (ابو محمد عبد الواحد بن مفرج التلالسى) (10) .

4) مما يزيدنا يقينا ان التليس هو الغرارة تسمية الرجل الشعبى التونسى الكابوس الذى يعترى النائم فيزعجه (بوغرارة) بينما البدوى الى اليوم يسميه (بوتليس) وعندما تساله ما هو التليس لا يفقهه .

وكان تسمية الكابوس (بوتليس) و (بوغرارة) لانه يفاجيء الانسان ويغمه فلا يتركه يتحرك ، على معنى المثل الشعبى التونسى (غمه بتليس) ويقال لمن يفاجأ بالامر المقضى فلا يجد مخرجا .

ان كلمة تليس عربية اصيلة اطلقت على الغرارة وما زالت آثارها فى التراث الشعبى .

واشكر الاخ الكريم الدكتور اكرم فاضل ومجلة اللسان العربى اذ لولاهما ما حررت هذه الكلمة وآمل ان اكون قد افدت وبلغت ما علمت .

الهـــوامـــش :

1) مجلة اللسان العربى م 10 ج 3 ص 182 و 183 هـــامش 45 .
2) لسان العرب لابن منظور «تلس» وترتيب القاموس للزاوى ج 1 ص 312 .
3) شرح القاموس للزبيـــدى فصل ت باب س ج 4ص 116 .
4) معالم الايمان فى معرفة فقهاء القيروان للدباغ طبـــع تونس ج 4 ص 195 .
5) اللسان العربى م 10 ج 3 ص 183 هامش .
6) معالم الايمان فى معرفة فقهاء القيروان ج 3 ص 58.
7) اللسان العربى م 10 ج 3 ص 182 .
8) رياض النفوس للمالكى ت ح مؤنس ج 1 ص 332.
9) المصـــدر السابـــق ص 245 .
10) معالم الايمان فى معرفة فقهاء القيروان ج 3 ص246 .